محمد بن أحمد الرشيد

د. خضر بن عليان القرشي (*)

سيذكرني قومي إذا جد جدهم　　　وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ما سوف أسطره في الصفحات القادمة ليس تأبيناً، ولا مدحاً، ولا إطراء، ولا تمجيداً لأحد، لكنه تسجيل وتوثيق لمرحلة من مراحل تجربتي الشخصية مع معالي الأخ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد - تغمده الله بواسع رحمته -.

في عـام ١٤١٦هـ هـاتفني معالي الأخ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد -رحمه الله-، ولـم أحظ بشرف معرفته قبل هذا الاتصال، وطلب لقائـي في الوزارة، فظننت أنه يريد أمـراً يتعلق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وكنت أميناً لها آنذاك، ولما سألته عن إمكان قضاء ما يريد هاتفيّاً، أجابني: «أريدك في كِلْمة (راس)».

أذكر هذا لأن التوافق والتفاهم الذي حصل بيني وبينه - رحمه الله - بعد عملي في الوزارة، ألقى في روع كثير من الناس أن لي علاقة أو زمالة قديمة تربطني به، وليت الأمر كان كذلك فهذا شرف لا أدعيه، ولكني أسجل تاريخاً الآن.

وانتهـزت موعـد مناقشة ميزانيـة الجامعة فـي وزارة المالية كما هـي العادة، وبعد الانتهاء من ذلك توجهت مباشرة إلى وزارة التعليم (وزارة المعارف آنذاك) دون ترتيب مسبـق، فدخلـت مكتب معاليـه مباشرة، فاستقبلنـي مرحباً ترحيباً حـارّاً، وقد بدا منه تواضع جم، لم أعهده في غيره من بعض كبار رجالات الدولة.

(*) عضو مجلس الشورى/ نائب وزير التربية والتعليم لتعليم البنات (سابقاً).

ودون مقدمـات طويلـة طلب مني الانتقال مـن الجامعة إلى الـوزارة، فتفاجأت بهذا الطلـب، واعتبرتـه صعب التحقيـق، لتعلقي بالجامعـة وبيئتها العامة مـن جهة، وكذلك مجـال تخصصي وخبرتـي العملية من جهة أخـرى، فكانت ردة فعلي الاعتـذار، فانهال علـيَّ بحديث رائع حول الوطنية وحب الوطـن، والتضحية، إلى غير ذلك مما يكتنف هذه المفاهيـم والقيم من معانٍ سامية، ولا أخفي القارئ العزيز أني أحسست بصدق مشاعر الرجـل وعواطفه، وأنه يسعـى إلى خدمة وطنه، فقدمت سبباً لاعتذاري بأن والدي- عليه رحمة الله- على فراش المرض في مستشفى الحرس الوطني بجدة، ولأجل بقائي بجانبه سأتقدم بطلب تفرغ دراسي، إلى أن يحدث الله بعد ذلك أمراً، لكنه أقفل عليَّ هذا الباب بقوله: «أريدك في جدة، واعطني من فائض وقتك، وما دام أن هدفك البر بأبيك، فاعلم أن الله معـك، وسوف يسخرنا لتفهم ظروفـك». لم يكن أمامي إلا التشبث بعذر آخر لعله يعتقنـي، فقلت: انتقل إعارة لمدة سنة وأعود، فوافق مباشرة، وقال بلهجته المميزة «إذا ما جزنا لك ارجع»، أجبته: قد أكون أنا الذي لا أجوز لكم، فقال: «بلى بس توكل على الله».

ولما شرع في الإجراءات، قلت له: مهلاً معالي الوزير قبل أن أتحمل المسؤولية العظيمة، أريـد أن أعـرف المساحة المعطاة لي فـي العمل، وحدود الصلاحيـات، والمهام، وقدمت لـه لائحة طويلة من الاستفسـارات، انتقدت نفسي بعد أن سمعـت جوابه، قائلاً: «حدودك السماء»، وقصّ لي قصّة وراءها من الأحداث ما وراءها، ولكن المجال لا يتسع لذكرها على جمالها ونبل مقصدها وهدفها، وقد يأتي وقت أتوسع فيه في بسط هذه القصة.

لقـد كان العمل في جدة مـع إنسان نبيل، هو الأمير ماجد بـن عبدالعزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته- أمير منطقة مكة المكرمة- حيث قدم لي ولكل منسوبي التعليم كل دعم ومؤازرة، جزاه الله خير الجزاء.

ومـن أول يـوم قابلته فيـه وجَّهني بعدة أمـور، وأرشدني إلى ضـرورة تحقيق أهداف واضحة ومحـددة، عملت مع زملائي على تحقيقها بروح الفريق الواحد، وكان رحمه الله شاكراً ذاكراً للإدارة بكل خير.

لقـد سهل لنـا سموه توطيـد علاقات، وإقامـة شراكات بنـاءة مع القطـاع التجاري والصناعـي من خلال غرفـة جدة، وامتد ذلك إلـى الإدارات الحكوميـة التي لا يستغني عنهـا التعليم، مثل: أجهزة وزارة الداخلية، من دفاع مدني، ومرور، وشرطة، والقطاعات الأخـرى الحكومية والأهلية، حتى أصبح التعليم في واجهة الحدث في جدة، لا حرمه الله أجر ما قدَّم.

أمضيت في جـدة سنتين، وبعد مُضيها توفى والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وكانـت وفاته صدمة وخسارة كبيـرة، أُصبتُ في أعز إنسان لـدي، كان نعم الأب، والأخ، والصديـق، عوضني حنان أمي عليها رحمة الله، فقـد توفيت وأنا طفل صغير لا أعرفها، تمنيت لو بقي لها رسم أو صورة، لكن هذه التقنية لم تكن موجودة تلك الأيام.

والـدي وصاحبـي وصديقـي صار إلى جـوار ربه، فشعـرت أني في فراغ شديـد، لكن ما واسانـي وخفف مـن مصابي زيارة سمو الأمير ماجد رحمه الله إلـى منزلي معزياً، واتصال الصديـق الصـدوق محمد الرشيد، وكان وقتهـا في كوريا للاطلاع علـى أنظمتها التعليمية، فلديهـم نظام تعليمي مميز، مكَّنهم من تحقيق المركـز الثاني في آخر إحصائية، اتصل بي ليواسيني ويعزيني، وكذا كل الأحبة والأصدقاء والزملاء، ما منهم من أحد إلا وقام بالواجب.

وبعد عودة الوزير من كوريا، فاجأني بقوله: «ذهب الذي كنت تحتج بوجودك في جدة من أجله، أريدك أن تنتقل إلى الرياض».

لقـد كان العمل معه رحمه الله يجعلـك لا ترد له طلباً، ولكنـي كنت أعلم أن الأمير لن يعجبـه هذا القـرار، فرجوته أن يحدث الأميـر، فاتصل بي الأمير وقـال: «ما هذا الذي أسمعـه؟!» فأجبته بأني في خدمة هذا الوطن يا سمو الأمير، أينما أُوضع سأبذل قصارى جهدي لخدمة وطني، لم يكن راضياً، لكنه لم يرغب في تعطيل رغبة الوزير، فلله درهما مـن أمير ووزير، قلّما تجد مثليهمـا، خُلقاً، ونُبلاً، وحياءً منقطـع النظير، كنت أسمع أن فلانـاً أشد حياءً من البكر في خدرها، فوجدت ذلـك فيهما، أسكنهما الله فسيح جناته، وجزاهما الله خير الجزاء على ما قدماه لأمتهما.

ثــم انتقلت إلى الرياض وكيــلاً للوزارة، بدأ العمل واستمر بروح الفريق، لكني وجدت أمراً كان في غاية الأهمية، وهو أن تأثير مدير التعليم في الميدان كان أعمق وأمضى من تأثيــر الوكيل، أو حتى الوزير، فتمنيت لو بقيت فــي الميدان لأرى ثمرة عملي أمام عيني. الوكيل مع فريقــه يدرسون ويخططون ويقررون، ويطلبون من الميدان التنفيذ، وليس من رأى كمــن سمــع، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لبقيت في العمل الميداني، لأن أثره كبير ومشاهد.

وأنصــح كل وزير أن يعمل على استقلالية إدارات التعليم بميزانياتها وكوادرها، مثل الجامعــات، بل أكثر استقلالاً ومرونة مالية وإدارية، ولجعلــت الوزارة تكتفي بالسياسات والتخطيــط والتطوير والإشراف والرقابة والجودة. والغريب أن الجامعات في كل مناطق العمــل عدد طلابهــا وأساتذتها أقل بكثير مــن إدارة التعليم في نفســ المدينة، ومع هذا فالمعاملة والمزايا مختلفة ومتباينة، دون منطق يحكم هذا التباين.

شكــراً لسمــو الأمير الشاعر خالد الفيصــل، فعندما كان وزيــراً للتربية أدرك حجم هــذا التباين، واستطــاع أن يحصل على مراتــب ممتازة لبعض مديــري التعليم، ليتمكن مــن استقطاب الكفــاءات المميزة، ولكنه منذ أن ترك الوزارة لــم أسمع عن مصير تلك الوظائف، التي أعلنت للقاصي والداني.

أتمنى من معالي وزير التعليم أن ينظر في هذا الاقتراح، وهو استقلال إدارات التعليم، وإحياء المراتب المفقودة، ولا سيما أن الأمير سنَّ سنة حسنة فله أجرها، وللوزير أجرها إن عمل بها وأحياها.

وبعــد أن تقاعدت من الوزارة زرت زملائي فــي تعليم جدة، ولما انتهيت إلى المدخل وجــدت لوحة تحمل صور مديري التعليم منــذ تأسيس الإدارة وإلى جانبها المدة الزمنية لــكل منهم، وقد لفت نظري أن المدة المدونة أمام اسمي سنتان. وكنت أحسبها عشراً أو أكثــر، لأن مــا تحقق كان كبيراً وكثيراً، فإذا بها سنتان تمر مــر البرق، لقد زاد يقيني أن تأثير مدير التعليم هو أعظم من تأثير أي مسؤول في الوزارة.

ثـم رجعـت بذاكرتي إلى السنوات التي عملت فيها وكيـلاً فوجدتها أياماً أكثر، لكنها أقل نتاجاً وفائدةً، ولهذا ما زلت مقتنعاً أن أهم مكان للتغيير في التعليم هو مدير التعليم، فيـا ليتها تستقل ماليّاً، وإداريّاً، وليُصطفى لهـا من الرجال الأمناء الأقوياء «إن خير من استأجرت القوي الأمين».

فـي ليلة مزدحمة بالعمل اتصل بي الوزير، وطلب منـي مصاحبته إلى جدة، وظننت أنهـا رحلة عمل عادية، غير أنـي اكتشفت وأنا في الطائرة أن الزيـارة كانت وجهتها إلى خـادم الحرمين الشريفين الملك عبـدالله تغمده الله برحمته، وكان حينهـا وليّاً للعهد، وهناك علمت بتكليفي نائباً للوزير لتعليم البنات، وبدمج التعليم (وزارة التربية والتعليم، والرئاسـة العامة لتعليم البنات) في وزارة واحـدة، وبالتحديد كان ذلك في عصر اليوم العاشر (عاشوراء) من شهر المحرم (١٤٢٣هـ).

عملـت في ذلك القطاع ثلاث سنوات، ثم تم اختيـاري عضواً في مجلس الشورى من تاريخ ١٤٢٦هـ إلى اليوم الذي أكتب فيه هذه الأحداث (١٤٣٧هـ).

مـرت السنوات الثلاث بمرها كأنها سنوات يوسـف عليه السلام، وتجربتي في تعليم البنات تجربة مرة، مررت فيها بأحداث ومواقف، ولكن ليس هذا مقامها ولا مكانها، وقد يأتي وقت أتمكن من بسطها إن شاء الله للعبرة والموعظة الحسنة.

أمـا الـوزارة والوزير فقـد واجها تهماً وافتـراءات ليست صحيحة مـن فئة قليلة من النـاسـ، وعجبـت لقوم يلقون التهـم جزافاً دون رويـة أو بينة، ويحسبونـه هيناً وهو عند الله عظيـم، فكيف والوزارة تحظى بنخب مخلصة من أبناء الوطن في الوزارة والمناطق التعليميـة. ووجدت أن معالي الوزير شخصيّاً يحيط بـه فئة أو على صلة قريبة منه نخبة مـن الفضلاء والكـرام منهم الشيخ عبدالرحمـن الباني، والشيخ محمـد لطفي الصباغ والدكتـور محمد سليم العوا، وزملاء كرام في الـوزارة عرفتهم عن قرب، لا يتسع الحيز لذكرهم كلهم، لا يُقرِّبهم إلا رجل واثق من نفسه قوي من داخله، يحب الأقوياء المتمكنين الصالحين، ولا شك أن المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل.

كمــا أنه اختار أربع مئة وسبعة وستين (٤٦٧) عالمــاً من العلماء الكبار من جامعات عربيــة، وغربيــة، ومؤسسات دوليــة، لبحــث ودراسة قضايــا الأمة، والرد علــى شبهات المستشرقين وكانت هذه البحوث والدراسات فريدة في نوعها، حول «مناهج المستشرقين فــي الدراسات الإسلامية والعربية». فمن يقرأ للمستشرقيــن يدرك مدى إساءة بعضهم فــي كتبهــم للإسلام والعروبــة. قدموا كتباً مليئــة بالتضليل والتحريــف، بعضهم قدمها للقراء عن جهل، أو سوء فهم، أما بعضهم الآخر فلا يساورني شك في خبث مقصده.

ومن أراد الاستــزادة فليطالع هذه الدراسة التي كلّف الدكتور محمد الرشيد (رحمه الله) الأستاذ زهير الشاويش (رحمه الله) بطباعتها.

كمــا أنه كلف الشيخ محمــد ناصر الدين الألباني (رحمــه الله) بتحقيق كتب السنن الأربعــة (سنــن أبــي داوود، وسنن النسائي، وجامــع الترمذي، وسنن ابــن ماجه) والتي أنجزها الشيخ وفعلاً تمت طباعتها وتعد مرجعاً أساساً لأحكام الشريعة ومستنداً موثوقاً عندما يقال: صححه الألباني.

ولا أنســى ذلك اليوم الذي هاتفني فيه معالي الوزير، وكان يوم خميس (إجازة نهاية الأسبــوع) ليخبرنــي أن وزارة الإعــلام زارها مندوبو قنوات فضائيــة وصحفيون وكتاب، يبحثون قضية التطرف والإرهاب بعد قضية ١١ سبتمبر، وأن المملكة كانت محطة تهمهم، وقــد طلب معالي وزير الثقافة والإعلام من زميلــه وزير التربية أن يستقبلهم ويشرح لهم عــن المناهج السعودية، فلما وصلتُ منزله وجدت مجموعــة من الزملاء ووكلاء الوزارة أذكر، منهم: الدكتور محمد العصيمي والزميل الدكتور محمد بن حسن الصائغ والدكتور إبراهيم الدريس (رحمه الله) والدكتور خالد العواد وكلاء الوزارة.

فلمــا شرع الصحفيــون في الأسئلة تناول (رحمه الله) القــرآن الكريم كان على رف مرتفع فقرأ عليهم بعض آيات السلم والسلام والحرية والعدل، وكان المصورون يلتقطون له الصور وهو ممسك بالمصحف، وبعد أيام وإذ بصورته ممسكاً المصحف، في جريدة

مشهـورة والكلام الذي مع الصورة يختلـف شكلاً ومضموناً، وكأن الأمـر أُرِيدَ به مكيدة للرجـل، فقد ورد في الكلام أن الوزير لا يريد من الطلاب أن يرددوا كالببغاوات والقرآن الكريم في يده، وللقارئ المنصف تصوّر ماذا يُفهم من ذلك المشهد.

لقـد كان رجـلاً يدافع عن أمته ودينـه ووطنه بالحجة، والقـرآن الكريم في يده، وما أعظمهـا من حجـة، وأما نحن فقد أدلينـا ساعتها بدلائنا، وظننـت أن القوم أسقط في أيديهم، وذهبوا بوجوه غير التي جاءوا بها، غير أني عزوت هذا التوفيق إلى إخلاص النية وصدق القضية.

حـاول جاهداً تطوير التعليم، واستطاع حشد الميدان وتوجيهه للتطوير بقناعة تامة، وتحقـق جلّ ما سعى له بالرغم من التدخلات من غيـر المتخصصين، وبعضها ما زالت تستمد الوزارة تطويرها منه.

وانطلاقـاً من اهتمام الوزير بالتطويـر اتجه إلى مجلس التعاون وحشد الوزراء، بغية تطوير التعليم في دول الخليج، لعله يجد قناة أخرى لتنفيذ برامجه، وبالفعل قُدّم مشروعٌ متكاملٌ إلى قادة مجلس التعاون تمت الموافقة عليه، ونفذه وزراء التربية في دول الخليج بنسـب متفاوتـة، ولكن وزارة التربية السعودية واجهت صعوبـات جمّة في التنفيذ الكامل بسبـب التدخلات. مؤلم على الوزير أن يرى الدول تنفذ مشروعاً تطويريّاً كان هو عرّابه، بينما هو لم يستطع، إلا أنه لم يعلن استسلامه، حاول وما أكثر المحاولات! نجح في جزء، ولـم يستطع فـي أجزاء أخرى، واستمر فـي الجهود (رحمه الله) إلـى أن ترجل الفارس عـن صهوة جواده، يصف مرحلته أحد المشرفين التربويين المتميزين: «أن الميدان كان شعلة من نار، ثم أطفئت كمن صب عليها ماءً بارداً».

إن معضلـة عـدم تطوير التعليم أحبطت المجتمع، وبـدأ كل يبحث عن بدائل خروجاً مـن المشكلـة، ولسوء الحـظ إهتدوا إلـى بديل سهل، وهـو فتح وفسح المجـال للطلاب السعوديين بالدراسة في المدارس العالمية بمناهج غربية، وطرق تدريس ووسائل خاصة

بها، والطامة الكبرى أن اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس، وكما هو معلوم أن اللغة ليست وسيلة إتصال فقط، بل وعاء للفكر، وما تقدم وأبدع قوم إلا بلسانهم، وهذا اللجوء للمدارس العالمية يعد مشكلة تربوية واجتماعية ووطنية تحتاج إلى وقفة حاسمة وجادة من القيادة، وألا يترك الأمر مستمرّاً كما هو عليه الآن.

لا أريد أن أتوسع في هذا الأمر لأنه يحتاج إلى مؤلفات، وأكتفي بالقول بأن محاولات معالي الدكتور الرشيد لو تحقق لها النجاح بالكامل لما انصرف الناس إلى هذه البدائل.

ويا ليت اختيار الوزير ممن يتمتعون بكفاءة عالية، ومهنية عميقة، فيه قوة وأمانة، ثم تطلق يده مع محاسبته، وبعد أن يقدم مشروعه الإستراتيجي والتنفيذي، يناقش من متخصصين ومهتمين، وتعقد له المؤتمرات وورش العمل، وبعد اكتماله يعرض على مجلس الوزراء للإقرار، وبعد إقراره يطالب بحسن التنفيذ ويحاسب على التقصير، ولا تترك البرامج للتغيير والتبديل ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ [النحل: ٩٢].

هذا غيض من فيض، ولكني سأوجز في السطور الآتية من هو أبو أحمد، أكنيه لأن هذه رغبته، لقد طلب منا أن ندعو بعضنا بأبي فلان وأبي فلان، علاقة حميمية قلما تجدها في منشأة حكومية.

رحم الله أبا أحمد! الذي قضى عمره في خدمة دينه ووطنه وأمته.

رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

الحديث عن أبي أحمد حديث يطول، وما سردته من مشاهد وأحداث بقي غيرها كثير وكثير، وقد يأتي الوقت المناسب لأبسطها للعظة والعبرة. لقد كان يمتلك صفات جمة، غير أني سأختار منها أربع سمات، جعلت منه وزيراً مختلفاً، كانت محل الأسوة والقدوة.

السمة الأولى:

لقد كان يعمل في وزارته (بروح الفريق)، وهذه الروح هي التي جعلته يبحث عن الطاقات والكفاءات والقيادات، لتكون معه في فريق واحد. وهذه الروح أيضاً هي التي جعلته يعطي هذا الفريق مساحة واسعة من الصلاحيات، حتى يكون لوجودهم هدف ومعنى، فإن من يجمع الطاقات ثم يكبل صلاحياتها، يشبه من يعمل وحده بلا رفيق ولا فريق، بهذه الروح اجتمع في الوزارة خيرة الرجال، عملوا بروح مفعمة بالمسؤولية والتحدي. كان يتخذ القرار بروح الفريق الواحد، يفتح المجال رحباً في النقاش والمراجعة، حتى نصل جميعاً للرأي الأنسب، والقوي وحده هو الذي لا يقلق من النقاش، ولا يخاف من المراجعة والمداولة. كانت الحرية مكفولة للجميع، حتى في الاجتماعات الواسعة مع الميدان، يسمع من الجميع، ويرحب بالأفكار، ويناقش القضايا دون خوف أو ريبة.

السمة الثانية:

الإقدام: سمعت من معالي الدكتور عبدالعزيز الدخيل المدير السابق لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، أن مجلس أمناء جامعة الخليج بالبحرين أدرج على جدول أعماله تصفية الجامعة لصعوبات مالية كانت تواجهها، عندما بلغ الدكتور الرشيد الخبر، وكان حينها أستاذاً في جامعة الملك سعود، حاول أن يثني المجلس عن توجهه ولم يستطع، فاضطر إلى الاتصال بالملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - مباشرة، وأبلغه الأمر، فما كان من الملك إلا أن يطلب منه أن يبلغ المجلس «أن الجامعة يجب أن تبقى وتستمر، وأن المملكة سوف تتكفل بالأمور المالية كافة»، وبالفعل بلّغ المجلس في الاجتماع وأُنقذت الجامعة من الإغلاق والتصفية، وما زالت تقدم برامجها إلى اليوم، جزاه الله أجر ما فعل، وأسأل الله تعالى أن يسهل له طريقاً إلى الجنة كما سهل لهؤلاء الطلاب العلم. لا أظن أن الإقدام والمبادرة التي تمتع بها -رحمه الله- تجدها في كثير من الناس، لاحظ أنه لم يكن وقتها وزيراً، ولا قريباً من القرار، لكنها الوطنية والغيرة مصحوبتان بإقدام منقطع النظير.

السمة الثالثة:

(الأمل والعمل) هو أمر آخر في شخصيته، كانت الوزارة تمر بتحديات كثيرة، ويعترضها عقبات كثيرة، وربما أساء الظن بعض الناس وأشاع القالة ضدها: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] وهو في كل أحواله مستمسك بالأمل والعمل، ولو سرى الإحباط إلى نفسه لانهزم الفريق أمام هذه التحديات.

التعليم وتطويره مهمة صعبة وحساسة، ولا يصلح لها رجل يجد الإحباط إلى نفسه سبيلاً، ولا يصلح لها رجل يجد الكسل والفتور إليه طريقاً. كانت روحه المفعمة بالأمل هي الطاقة التي تجعل الفريق في عمل دائم، وتفويضه لرفاقه لم يكن تفويض الكسول الذي يرمي العبء على غيره، بل هو تفويض الشريك الذي يقاسمك الثقة والمسؤولية، والجهد والتعب، منذ أن يستيقظ في صباحه وحتى يأوي إلى فراشه هو في عملٍ لا يقل عن باقي أصدقائه داخل الوزارة.

ما أجمل تلك الذكريات! والجميع في حالةٍ من الأمل والعمل، والتحدي للظروف والعقبات؛ بغية الوصول إلى تعليمٍ يليق بهذا الوطن وأبنائه الكرام.

السمة الرابعة:

وأختم بهذه السمة، وهي: (الإنسانية). ففي قلبه رحمة ومودة وأخلاق نبيلة، تتصاغر أمامها كل المشاغل، لقد كانت عيادة المريض، وواجب العزاء، ومشاركة الفرحة، والتهنئة بالعيد قضايا مقدسة، لا يحول بينه وبينها عذر، وربما سافر من أجل ذلك، هذه الإنسانية هي التي تمنح العمل رسالته وجماله. فماذا نريد من قيادة التعليم إذا نحن أخفقنا في واجب الأخلاق والإنسانية؟! لم يكن يكتفي بالواجب، بل تجد الإنسانية اللمسة الجميلة التي يفاجئ بها من حوله في كل مناسبة. وقد بقيت هذه الأخلاق هي التي تجمع الشمل حتى بعد الوزارة، عاماً بعد عام، لقد كان بحق من «الموطّئين أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون»، واسع الصدر، وكان رفيقاً بالجميع؛ مؤمناً بـ «أن الرفق لا يكون في شيء

إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». ومن مميزاته الحسنة أيضاً العفو عند المقدرة عن كل من أساء إليه، يلتمس الأجر من الله، وما أعظمه من أجر: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

لقد كان أبو أحمد وزيراً مختلفاً، قضى حياته في خدمة دينه ووطنه وأمته، ولهذا فهو يستحقّ منّا وفاءً، وتذكاراً، ومحبةً، ودعاءً. اللهم اجمعنا به في دار كرامتك في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومما يعزي النفس بفقده أنه خلف رجالاً، «ومن خلف ما مات». بارك الله فيهم وفي ذرياتهم، وأعانهم على إكمال ما خطه أبوهم، فأكرم به من أب، وأنعم بهم من أبناء، والله من وراء القصد، والهادي إلى سواء السبيل.